

اقتصاد السوق الحر، وعدالة توزيع اللقاحات ضد فيروس كوفيد

29 نوفمبر 2021

لعل آلية التوزيع السائدة للقاحات ضد فيروس كوفيد، والمعتمدة على آلية السوق الى حد بعيد، على الأقل لغاية الآن، وما يرافقها من عدم كسر حقوق الملكية الخاصة لشركات الأدوية وتحويلها الى ملكية عامة، هي المسؤولة، بشكل كبير، عن تحولات وطفرات الفيروس الى فيروسات متحورة (وأخرها "أوميكرون Omicron"). وما ترتب، ويترتب، على هذه الآلية من مخاطر على الصحة العامة، والإقتصاد العالمي، من نتائج خطيرة جدا، شهد العالم بعض نتائجها عام 2020، ولا يزال يعاني من تبعات هذه الآلية. وهو الأمر الذي لا يمكن قبوله، لا إنسانيا (حيث تمّ استبعاد شعوب القارات الفقيرة، مثل أفريقيا، من التمتع بالحصول المجاني للقاح، ماعدا حالات بسيطة)، ولا إقتصاديا (لما ترتب على ذلك من انهيار في معدلات النمو العالمية، وانتشار معدلات البطالة، وضرب لسلاسل العرض الدولية). أن آلية السوق السائدة لتوزيع اللقاح لا يمكن وصفها، بأي حال من الأحوال، بأنها تتصف بالعدالة. ويوضح الجدول، ادناه، نسبة السكان الذين تمّ تطعيمهم، لغاية 27 نوفمبر 2021، في عينة من البلدان، ذات المستويات المختلفة في النمو.

نسب الملقحين بجرعتين، تنازليا، ضد فيروس كوفيد – 19، حسب القارة وعدد من البلدان
حتى تاريخ 27 نوفمبر 2021

نسبة الملقحين (%)	القارة / البلد
88	الإمارات
81	الكويت
76	قطر
75	بلجيكا
73	إيطاليا
73	أستراليا
69	فرنسا
69	السويد
68	المملكة المتحدة
68	ألمانيا
66	البحرين
65	سويسرا
63	السعودية
58	الولايات المتحدة الأمريكية
58	أوروبا
56	أمريكا الجنوبية
55	أمريكا الشمالية
54	عمان
48	آسيا
24	جنوب أفريقيا
9	غامبيا
8.1	أفغانستان
8.1	أنغولا
7.2	أفريقيا
4.9	الغابون
4	سوريا
3	مالاوي
2.6	جيبوتي
2.3	الكونغو
1.6	نيجيريا
1.3	السودان
1.2	اليمن

المصدر: Our World in Data Website

وكان من نتيجة سيطرة "القدرة على الدفع" Willingness to Pay أن قامت فئة الدول المرتفعة الدخل، وفئة الدول ذات الدخل المتوسط المرتفع (حسب تصنيف البنك الدولي)، بشراء حوالي (6.2) مليار جرعة من اللقاحات، من مجموع (8.9) مليار جرعة منتجة (حسب إحصاءات نهاية أبريل 2021). في حين أن وكالة "كوفاكس Covax"، المبادرة الدولية لضمان لتوفير حوالي (92) مليار جرعة للبلدان المنخفضة ومتوسطة الدخل، لم تستطيع الأ شراء حوالي (1.1) مليار جرعة. بالإضافة الى شراء نحو (1.5) مليار جرعة من قبل هذه البلدان (Powers, 2021). ولم يحصل على اللقاح، في البلدان المنخفضة ومتوسطة الدخل، إلا القليل. علما بأن نسبة سكان البلدان مرتفعة الدخل / سكان العالم، عام 2020، هي في حدود (16.0%)، في حين أن هذه النسبة، في حالة البلدان المنخفضة والمتوسطة الدخل، هي في حدود (84%) (World Bank).

ومن الحقائق الطبية أنه كلما تم الإسراع في تطعيم أغلب السكان، على المستوى العالمي، كلما قلّت احتمال طفرات Mutations الفيروس الى متحورات Variants جديدة. ولعله من الحقائق، الآن، أن الفشل في تطعيم أغلب سكان العالم، بغض النظر عن مستوى الدخل، هو السبب الرئيسي وراء الطفرات في الفيروس (آخرها الوصول الى متحور "أوميكرون"، في جنوب أفريقيا، وبدء انتشاره عالميا، كما حصل مع متحور "دلتا"، السابق، في الهند). وستستمر الطفرات الفيروس طالما أن تعميم أخذ اللقاحات، بغض النظر عن مستوى دخل البلد، لا زال مقيّداً بالفكر الاقتصادي القائم على آلية السوق.

وهذه الآلية لها ضوابط وشروط حتى تعمل بكفاءة. ومن أهم هذه الشروط هي أن آلية تخصيص الموارد، حسب "القدرة على الدفع" لا يمكن أن تعمل في ظل إقتصاديات الصحة، والأ فأن النتيجة هي كما نراها حالياً، والتي لا تحتاج الى أية ادلة إقتصادية نظرية لإثباتها. ولا زالت تجارب التاريخ الاقتصادي تشير، يوماً بعد يوم، الى انه من الخطورة بمكان فرض آليات السوق على تخصيص

الموارد في القطاع الصحي، والتعليمي أيضا، باعتبارهما المصدرين الرئيسيين لإيجاد رأس مال بشري تنافسي، ومتطور. ورغم أن آلية عمل السوق مهمة لتخصيص الموارد، إلا أنها تفشل في حالات لتخصيص الأفضل إقتصاديا وإجتماعيا، وهو ما يطلق عليه في الأدبيات الاقتصادية "فشل السوق Market Failure" (ويقابله، أيضا، مفهوم "فشل الحكومة Government Failure" عندما تفشل الحكومة في التخصيص الأفضل للموارد). وعليه، فإن كل ظرف وحالة إقتصادية يجب أن تدرس، في البيئة التي تعمل بها، ومن دون التأثير الأيدولوجي المسبق، لكي تتحد الأدوار المبررة، إقتصاديا وإجتماعيا، للحكومة والسوق، في الإدارة الاقتصادية، محليا، وإقليميا ودوليا.

وختاما، تأتي دعوة الرئيس الأمريكي، بايدن، لشركات الأدوية المصنعة للقاحات، بضرورة تحرير إستخدام جميع البلدان، لاسيما ذات الدخل المنخفض، لبراءات الإختراعات الخاصة باللقاحات دون مقابل. وهو الأمر الذي يعكس أهمية الحدّ من تطبيق قواعد عمل السوق الحر في سوق اللقاحات.

References:

- Our World in Data <www.ourworldindata.org>.
- Powers, M., 2021, The Free Market Alone Will Not Vaccinate the World, America, Jusuite Review, May 6.
- World Bank Data <data.worldbank.org>.